المظاهر الاقتصادية في منطقة حوض شلف في العصر الوسيط:
دراسة اقتصادية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين

Chlef Basin in the Middle Age:aneconomicstudy through the writings of travelers and géographes

حكيم علي عباس[1]
جامعة حسيبة بن بوعلي شلف
h.aliabbass@univ-chlef.dz
صلاح الدين شواش
جامعة حسيبة بن بوعلي شلف
s.chouach92@univ-chlef.dz

تاريخ الوصول 2023/04/20القبول2024/01/06النشر على الخط 2024/01/15
Received 20/04/2023 Accepted 06/01/2024 Published online 15/01/2024

ملخص

تعد منطقة حوض شلف في العصر الوسيط من حواضر المغرب الأوسط التي كانت تعرف حيوية تجارية؛ وذلك راجع لجملة من العوامل التي تتلخص في الموقع الجغرافي بحُكم أنها كانت تتوسط بلاد المغرب الإسلامي، وكذا الموقع الاستراتيجي الذي تبوأته حيث أدى دوراً هاماً في النشاط التجاري والاقتصادي بين مختلف الأقاليم المجاورة له، وذلك ما ساهم في تنوع الأنشطة الاقتصادية الممارسة بالمنطقة.

وبناء على ما سبق جاء هذا المقال ليتناول بالدراسة الأنشطة الاقتصادية لحوض شلف في العصر الوسيط، وذلك من خلال إبراز أهم المعالم الاقتصادية للمنطقة، وكذا تسليط الضوء على إمكانيات، المميزات والإسهامات الاقتصادية لهذا الإقليم، ودوره في النهوض بالنشاط الاقتصادي خلال الفترة الوسيطة، وذلك من خلال الاعتماد على كتب الرحلات والجغرافيا باعتبارها مصدراً مُهماً تحتوي مادة تاريخية واقتصادية تمس وبشكل مباشر العديد من الجوانب المتعلقة بحوض شلف خلال تلك الحقبة التاريخية، وبخاصة الجانب الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: منطقة حوض شلف، المغرب الأوسط، الأنشطة الاقتصادية، العصر الوسيط، كتب الرحلة.

Abstract:

The medieval Chlef Basin is a Middle Maghreb metropolis that was known for its commercial vigor; This is due to a number of factors, which summarize its geographical location as it was in the middle of the Islamic Maghreb, as well as its strategic location, which played an important role in trade and economic activity among the various neighboring regions, and which contributed to the diversity of economic activities in the region.

Based on the foregoing, this intervention was made to examine and analyze the economicstatus of the Chlef Basin in the Middle Age, by highlighting and clarifying the most important economicfeatures of the region and highlighting the potential of the economicadvantages and contributions of thisregion and itsrole in promoting the public sectorduring the intermediateperiod.

Keywords: Chlef Basin**;** Central Morocco**;** Economic Activities**;** Mesozoic**;** Travel Books.

[1]- المؤلّف المراسل: علي عباس حكيم البريد الإلكتروني: h.**aliabbass@univ-chlef.dz**

1. مقدمة:

تعتبر منطقة حوض شلف من أهم مدن المغرب الأوسط التي أخذت الدراسات الحديثة تولي اهتماماً كبيراً بها، لرصد أهم معالمها التاريخية والمكانة التي كانت تحتلها المنطقة عبر الصور التاريخية، وأهم الأوضاع الاقتصادية والتجارية ويرجع ذلك للموقع الاستراتيجي، ومركز تقاطع القوافل التجارية وكذا مركز الرحلات والتواصل مع الدول المحيطة بها في الحوض المتوسط، وقد ذكرها الكثير من الرحالة والجغرافيين في كتاباتهم جاءت كلها عن مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، عنها على كتب الرحلة والجغرافيا مثل: "كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" لأبي عبيد البكري(ت487هـ/ 1098م) و"كتاب المسالك والممالك" للإصطخري (ت346هـ/ 957م)، و"كتاب وصف إفريقيا "لحسن الوزان (ت957هـ/ 1552م) وغيرها كثير سنحاول ذكرها في متن المقال، وذلك للأهمية التي تكتسيها هذه الكتب في التعريف بالمظاهر الحضارة الإسلامية لمنطقة حوض الشلف في العصر الوسيط.

رغم الأهمية التي كانت تكتسيها منطقة حوض شلف والتطورات التي شهدتها، إلا أنها ظلت مهملة وغامضة في الكثير من جوانبها وفي أغلب فتراتها، وكل ما كان يعرف عنها لا يتعدى بعض الأحداث المتفرقة التي لا تشفي غليل الباحثين ولا تعكس صورة المنطقة وتطوراتها في مختلف مجالاتها، وبخاصة المجال الاقتصادي الذي يعتبر من المواضيع الهامة في تاريخ المنطقة، وهذا في ظل غياب الدراسات المتخصصة في هذا المجال، وهو ما دفعنا للبحث فيه من خلال التطرق للأنشطة الاقتصادية الممارسة في حوض شلف في العصر الوسيط.

ومن هذا المنطلق فقد كانت الإشكالية التي تطرحها الدراسة تتمحور حول الأهمية الاقتصادية التي تكتسيها منطقة حوض شلف في العصر الوسيط، وذلك من خلال البحث في الإمكانيات الاقتصادية، وكذا الخصائص والمميزات الاقتصادية التي يتوفر عليها هذا الاقليم، وذلك بغية استجلاء أهم المظاهر والأنشطة الاقتصادية الممارسة في تلك المنطقة خلال تلك الحقبة التاريخية.

2.المجال الجغرافي والبشري لحوض الشلف:

يمثل الموقع الجغرافي أهمية كبيرة في دراسة تاريخ المنطقة، وهي من العوامل الجديرة بالدراسة والتحليل لما لها من أهمية في إبراز المنطقة من حيث الأهمية الاقتصادية والاجتماعية التي لعبت دوراً كبيراً في التطور التاريخي للمنطقة عبر العصور، وسنحاول رصد الموقع الجغرافي لحوض الشلف وتحديد أهميته التاريخية.

حيث عمّرت منطقة الشلف منذ القدم كما تُثبته مختلف البقايا الأثرية المكتشفة بها التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ في كل من واد سلي، ومنطقة تنس، أما الاسم القديم لتنس CARTENNAS فهو فينيقي الأصل، مكون من شطرين CART معناها "مدينة"، أما الشطر الثاني TENNASيعنى المثنى أي مدينتين، حيث عرفت المنطقة تواجد الفينيقيين وبعدها جاء دور الرومان الذين أسسوا مدينة تنس بأمر من الإمبراطور أغسطس، ولم يركز الرومان اهتمامهم على منطقة تنس الساحلية فقط بل تعدوها إلى الجنوب أين يوجد سهل الشلف، وجبال الونشريس التي تحد السهل من الجنوب، ومن بين المدن مدينة الشلف التي تقع على بعد حوالي خمسين كيلومتر جنوب تنس، وسميت بالشلف نسبة إلى الواد الذي يعبرها، وهو الأطول في الجزائر بطول مقداره 700كم، وبعد نهاية الاحتلال البيزنطي الذي لم يدم طويلا ومع بداية الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا بقيادة عقبة بن نافع سيطر المسلمون على المنطقة الساحلية بين سنتي (675م و682م /55هـ-62هـ) تحت قيادة أبو المهاجر الدينار، وأسست مدينة تنس على بعد اثنان كيلومتر جنوب المدينة الرومانية وحكمت بالتوالي من طرق بنو

رستم، بني عبيد، بنو حمّاد، المرابطين، الموحدين، ثم بنو زيان[1]، حيث اعتبرها ابن خلدون في كتابه " العبر": "قواعد المغرب الوسط"[2]، وذكرها ابن سعيد بقوله:" أول ما يلقاك منه (الجزء الثاني من الإقليم الرابع) مدينة تنس. هي مشهورة بكثرة القمح، ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها. وهي الآن قاعدة مغراوة، من زناته. وموضوعها حيث الطول ثمان عشرة درجة واثنتا عشر دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، ولها نهر يأتيها من جنوبها، ويصب في البحر بشرقيها، وبينها وبين البحر ميلان، وفي شرقيها مستغانم، وهي من فرض مغراوة وبينها ستون ميلا"[3]، وهذا يدل على المكانة الواسعة التي احتلتها المنطقة في تلك الفترة، وكانت مزدهرة عبر تاريخها واعتبرت محوراً هاماً في التواصل بين ضفتي المتوسط الجزائر وأروبا.

في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي استقرت قبيلة مغراوة[4]، بسهل الشلف وأطلق اسم "الأصنام" على المدينة نظراً لكثرة البقايا المعمارية التي وجدت بها، إضافة إلى مخلفات الزلزال الذي ضرب المنطقة في هده الفترة. ومنطقة شلف حالياً هي الرقعة الجغرافية الممتدة من واد مينا غرباً، إلى جندل شرقا، ومن شواطئ الجنوبية للحوض المتوسط، إلى السفوح الجنوبية لجبال الونشريس جنوباً، تمتد من الغرب إلى الشرق على مسافة 200كلم، يعبرها واد الشلف الذي تنتشر على ضفافه سهول خصبة، وهي واقعة بين سلسلتين جبليتين واحدةً في الشمال تمتد من مستغانم إلى جبال زكارا، وأخرى جنوبية تمتد من جبال بني شقران إلى جبال المدية، وتتضمن سلسلة جبال الونشريس فهي تعتبر همزة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب[5].

ومن العوامل المؤثرة في رطوبة المنطقة، المسار المنعرج لوادي الشلف داخل السهل الضيق، والذي تحده في زوايا انعراجه مجموعة من التلال تمنع من ترطيب مساحات كبيرة من الأرض، خاصة في فصل الصيف حين تقل نسبة المياه كثيرا، كما تعتبر جميع الأودية في سهل الشلف بطيئة نوعا ما، ما عدا وادي الشلف فهو سريع جدا غير منتظم الجريان، يفيض شتاء ويجف صيفا، ويتسبب خلال فيضانه في انجراف هائل، أما تربة المنطقة التي بنيت عليها مدينة الأصنام (شلف حاليا) فهي تربة غرينية خصبة ذات تكوين حديث، انتشرت بها زراعة القمح والشعير بشكل واسع[6].

أما مناخها فينتمي إلى مناخ البحر الأبيض المتوسط، فهو شبه جاف يتميز بصيف حار وجاف، وشتاء بارد وقليل الأمطار[7]، وقد انعكس ذلك على الاستغلال الزراعي حيث الاهتمام بزراعة الحبوب (القمح، الشعير والبقوليات) كما تسود زراعة الخضر في السهول المترامية على ضفاف نهر الشلف وكذا بساتين الحمضيات الممتدة حوله، بالإضافة إلى ذلك يهتم السكان في الريف بتربية الحيوانات مثل الغنم والماعز والبقر والخيول. ولقد مرّ بمدينة الشلف العديد من الجغرافيين والمؤرخين والرحالة فدونوا ملاحظاتهم وانطباعاتهم عنها متحدثين

---

[1]- محمد فوكة، **خريطة أثرية لولاية شلف**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الأثار، جامعة الجزائر2، 2009، ص 23- 25.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ت، ص 141.

[3]- إسماعيل العربي، **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت، ص 154- 155.

[4]- بنو مغراوة هم إحدى بطون قبيلة زناتة وأهل البأس والغلب منهم، ونسبهم إلى مغراوة بن يصلتين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا إخوة بني يفرن وبني يرنيان، وشعوبهم وبطونهم كثيرة منها بني يلث وبني زنداك وبني رواوة وغيرهم. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص33.

[5]- محمد عيساني، **تطور النشاط الاستيطاني الفرنسي الأوربي في منطقة شلف خلال الفترة (1843– 1962)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، الجزائر، 2012، ص 18- 19.

[6]- سعاد موسى ومحمد صالح بوقشور، **تأسيس مدينة الأصنام وتطورها العمراني بين 1843– 1856**، مجلة عصور، ع11، جامعة وهران ، الجزائر، 2021، ص 300.

[7]- إسماعيل بن نعمان، **مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3– 13هـ/ 9– 19م)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الأثار، جامعة الجزائر، 2007، ص 14.

عن موقعها الاستراتيجي الهام والمتميز خاصة منطقة تنس من حيث تاريخها نشأتها، وموقعها المتميز المطل على البحر، وحصنها المرتفع وكذا عن سكانها وعلاقاتهم مع الأندلسيين، وكتبوا عن واد الشلف المشهور وأيضا عن خصوبة تربة سهول الشلف.

3. النشاط الاقتصادي لمنطقة حوض شلف:

لقد أدى الموقع الاستراتيجي الذي تبوأتــه منطقة حوض شلف في العصر الوسيط أهمية تمثلت في تنوع نشاطاته الاقتصادية، اضافة إلى أنه كان يتوسط بلاد المغرب الإسلامي، وكذا محاذاتها لساحل البحر المتوسط ومرور أهم الطرق التجارية في مجالها، كل هذا ساهم في ازدهار النشاط الاقتصادي، وبخاصة المجال الصناعي والفلاحي الذَيّن أثّـرا بدورهما في رواج وحركية النشاط التجاري، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه الدراسة.

1. 3. النشاط الفلاحي:

كان سكان منطقة حوض شلف[1] في العصر الوسيط يعتمدون بشكل كبير على الفلاحة، وهذا راجع لوفرة جُملة من العوامل المتّحكمة في ذلك النشاط والمتمثل في خصوبة أراضي هذا الإقليم وغنى تربتها وملائمة مناخها للزراعة الممارسة في تلك المنطقة، بالإضافة إلى وفرة المياه التي كان يجود بها نهر شلف[2]، وغير ذلك من الظروف المساعدة للممارسة ذلك النشاط والتي سنحاول التطرق إليها في هذا المحور.

لقد كان حوض شلف يعتبر من أخصب جهات مناطق المغرب الأوسط، وذلك ما أشار إليه الإدريسي(ت559هـ/ 1166م) الذي لفت نظره كثرة المزارع وامتدادها إلى جانب تعدد المراكز الحضارية فيقول عن ميناء تنس[3]: " أن به فواكه وخصب وبها إقلاع ولها أقاليم وأعمال ومزارع"[4]، وقد كانت هذه المنطقة معروفة بوفرة الإنتاج الفلاحي، حيث أنها أصبحت في عهد الدولة الزيانية (633- 933هـ/ 1235- 1554م) من المدن الهامة في الجانب الاقتصادي، إذ كان انتاجها يستوفي سوقها الداخلي على طول فترات السنة وذلك نظير لما جادت به أراضيها[5].

أ. الـزراعة:

لقد كانت جلّ الأراضي المحيطة بنهر شلف مصنفة ضمن أخصب الأراضي، وهذا راجع إلى الأودية التي كانت المنطقة تتوفر عليها والتي كان لها دوراً كبيراً في تكوين تلك السهول الخصبة، كسهول وادي الشلف الغنية[6]، ولذلك اعتبرت منطقة حوض شلف منطقة زراعية من الدرجة الأولى، وهذا ما أشار إليه العديد من الرحالة والجغرافيين نجد في مقدمتهم ابن حوقل(ت 367هـ/ 978م) الذي وصف مدينة

---

[1]- حوض شلف يقع بين جبال زكار والظهرة شمالا، وجبال الونشريس جنوبا، والذي يمتد ما بين مدينتي ملیانة شرقا وغليزان غربا، وقد يكون هذا الحوض من وراسب المجاري المائية التي تنزل إليه من مرتفعات جبال زكار والظهرة شمالا ومرتفعات جبال الونشريس جنوبا والأطلس التيطريوالبليدي شرقا. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الأغواط، الجزائر، 1359، ص 52.

[2]- محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160– 296هـ)**، دار القلم، الكويت، 1987، ص 231.

[3]- تنس مدينة بالقرب من ملیانة بينها وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة وبعضها على جبل وبعضها في سهل الأرض، وهي قديمة أزلية، وتنس الحديثة هي التي بناها وأسسها البحريون من أهل الأندلس سنة 262هـ. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 138.

[4]- محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002، ص 252.

[5]- عمر بلبشير، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9هـ/ 12– 15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009- 2010، ص 181.

[6]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 231.

شلف بقوله: " شلف مدينة ذات صور وحصن ونهر وشجر ومزارع"، ووصف سوق كرام (كران) بأنها كثيرة المزارع والمحصنة بقوله: "سوق كران وهو حصن أزلي له مزارع وسوان"[1]، وقد نحى اليعقوبي(ت 284هـ/ 897م) حذوه حين تكلم عن مدينة تهيرت وقال بأن واد شلف كان بلد كثير الزرع، وذلك لأن أغلب أهاليها كانوا يمارسون الزراعة[2]. أما البكري فقد قال بأنها مدينة كثيرة الاشجار والأنهار ووصفها بقوله: " مدينة جليلة كثيرة البساتين وهي على نهر"[3].

وقد استغل مزارعي حوض شلف مياه هذا النهر في الري والسقي، حيث وفر لهم المياه اللازمة لزراعة المحاصيل خاصة في فترات الجفاف[4]، وقد كانت سهوله المحصورة بين جبال زكار والظهرة شمالا وجبال الونشريس جنوبا تعد منطقة حارة فساعدهم بذلك في ممارسة مهامهم الزراعية معتمدين بالدرجة الأولى على السقي من مياهه[5]، أما فيما تعلق بالوسائل التي كانت تستخدم في السقي والري، فقد استعمل هؤلاء المزارعون عدة وسائل نذكر منها السواقي التي كانت تخرج من ضفاف نهر شلف وهي محملة بالمياه باتجاه الأراضي المراد سقي محاصيلها[6]، كما وجدت وسيلة أخرى تعرف بالسواني التي كان المزارعون على طول نهر شلف يستعملونها، وقد كانت نواحي سوق كرام (كران) وكذلك منطقة الخضراء مزودة بها، ونفس الشيء في بني وازلفن[7].كانت إذن تلك هي أهم الوسائل التي كانت تستخدم في سقي الأراضي، كما لا يستبعد أيضا أن أهلي مناطق حوض شلف قاموا ببناء خزانات وأحواض للمياه وحفروا وشقوا القنوات وأوصلوها بمختلف البساتين عن طريق الأنابيب وهكذا استغلوا هذه المياه على حسب حاجة مناطقهم الزراعية.

ب. المحاصيل الزراعية:

لقد أشتهر إقليم حوض شلف والمناطق المجاورة له بكثرة وتعدد المحاصيل الزراعية كالعنب، التين، السفرجل، الزيتون، البصل، الحبوب، الكتان والسمسم وغيرها من المحاصيل التي أنتجها ذلك الإقليم والتي سنحاول التطرق إليها في هذه النقطة.

القطاع الزراعي من بين القطاعات الاقتصادية التي لعبت دورا كبيرا في تنمية المنطقة واشتهارها في حركية التجارة عبر العصور، حيث كان المجتمع يعتمد بالدرجة الأولى على القطاع الفلاحي لما له من أهمية كبير في توفير المتطلبات المعيشة والغذائية من مأكل وملبس وحتى في المسكن في استعمال بقايا الأشجار للبناء المساكن وبناء الخيم وغيرها.

– الحبوب:

تشكل الحبوب ومشتقاتها لغذاء الرئيسي لدى الكثير من المجتمعات ومنها الجزائر فزراعة الحبوب له مكانة خاصة لدى سكان الجزائر كونها يعتبر القوت الرئيسي له وللحيوانات ، ومنطقة الشلف كمثيلاتها عرفت زراعة القمح ووفرته بكثرة وذلك راجع إلى الاعتماد عليه كمورد أساسي للمنطقة والغذاء الرئيسي للسكان، وكذا في التبادل التجاري مع المناطق المجاورة وحتى مع التجار البحارة القادمين من

[1]– أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص 89.

[2]– أحمد بن أبي يعقوب، **البلدان**، المكتبة المرتضية ومطبعتها، النجف، 1918، ص 116.

[3]– أبي عبد الله بن عبد العزيز البكري، **المسالك والممالك**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص241.

[4]– محمد السيد غلاب وآخرون، **جغرافية العالم دراسة اقليمية**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1989، ص 52.

[5]– مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 52.

[6]– عبد الكريم يوسف جودت، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9– 10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ت، ص 62.

[7]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

الأندلس، عرفت المنطقة بالإنتاج الرئيسي للقمح، الذي يكتسب صفات مميزة، لإنتاجه الوفير، وكثرة زراعته في احدى مناطقها الجافة[1]. إن مكانة القمح له أهمية كبيرة في تاريخ الحضارات البشرية مند القدم، وهو من المحاصيل الاستراتيجية الهامة التي تعتمد عليها المجتمعات للغذاء، وقد اهتمت به عملت على تطويره وزراعته بقدر المستطاع في أكبر الأراضي، والاستفادة منه وتخزينه بأشكال مختلفة، والمجتمع الجزائري كان أيضا من الذين حاولوا زراعته والاهتمام به عبر العصور التاريخية، وقد تجلى ذلك الاهتمام في أن نسبة الغذاء الرئيسي للمجامع الجزائري هو القمح وتعددت استعمالاته في أطوار المعيشية ولأنه الأكلة الرئيسية للسكان.

ولهذا تُعرف منطقة حوض شلف بزراعة القمح والشعير والحنطة[2]، وانتشرت زراعة الحبوب في مناطق كثيرة لقلة ما يتطلبه من تكاليف حيث يقول الإدريسي عن ذلك:" وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب"[3]، كما كتب ابن سعيد المغربي عن القمح ووفرته في المنطقة وذكر أنه كان يصدر إلى الخارج حيث يقول في ذلك:" ...في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها"[4]، وهذا يؤكد جودة الحبوب والحركية التجارية للمنطقة مع الدول وأهميتها التجارية النشيطة، أحتل القمح أهمية بالغة في حياة الفرد المجتمع الجزائري الحديث لكونه يشكل الغذاء الأساسي في منطقة الشلف،، لذا كان من الطبيعي انتشار زراعته في مختلف مناطق البلاد كما يرجح أيضا أنه تم زراعة الأرز على ضفاف نهر شلف، ولكن على نطاق ضيق لا يرقى مثله كمثل زراعة القمح والشعير وذلك لصعوبة زراعته وإنتاجه، واعتماده على شروط معينة كأن يكون المناخ المعتدل، والتربة الخصبة، والأرض المغمورة بالمياه طوال فترة النمو، وهذا صعب بسبب صعوبة الاعتماد على الأمطار وظهور الجفاف في بعض الأحيان خاصة في فصل الصيف وجفاف واد شلف وكذا درجة الحرارة المرتفعة صيفا في المنطقة[5]. الأرز من بين المواد الواسعة الاستهلاك لما له من قيمة غذائية، لذا فقد أولى الفلاح الجزائري اهتمام لزراعته، لكن لم يكن واسع الانتشار والاهتمام كمثيله من القمح والشعير. رغم عدم حصولنا على إحصائيات تحدد أماكن وانتشار زراعة هذه المحاصيل، إلا انه من خلال ما تم ذكره يمكننا القول أن الفلاح الجزائري اهتم بزراعة وإنتاج مختلف أنواع الحبوب وحتى الفواكه المثمرة المنتشرة في منطقة الشلف. ومن بين هذه الأشجار نجد: الرمان، التين، والتفاح، واللوز، والجوز، والمشمش، والبرتقال، والليمون

– العنب:

من أهم مناطق حوض شلف التي شهدت انتشار وانتاج لهذا المحصول الزراعي نذكر قرية بني واريفن[6] وذلك ما أكده الادريسي بقوله: بقوله: " قرية كبيرة ... لها كروم وجنات"[7]، كما وجد العنب أيضا بالأراضي المحيطة بمنطقة الخضراء إذ كانت تعتبر من أهم المناطق إنتاجا له[8].

–التيـــن:

[1] -M. POURHER, **PLAINE DU CHELIF**، Imprimerie orintale pierre fontana ،ALGER ،1900. P13.

[2]– مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية –الأحوال الاقتصادية والثقافية**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 27.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 252.

[4]– ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 142.

[5]– عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص54.

[6]–بنو واريفن قرية أزلية لها كروم وسوان كثيرة وهي على نهر شلف. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 90.

[7]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 253.

[8]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

يعتبر من أهم المحاصيل الزراعية انتشارا في حوض شلف وبخاصة في منطقة تاجنة[1] وضواحيها حتى أن الادريسي لقبها باسم بلدة التين وذلك لكثرة أشجاره بإقليمها وضخامة انتاجها لهذا المحصول، كما وجد هذا المحصول أيضا في منطقة سوق إبراهيم[2].

– السفرجل:

يعتبر من أهم المحاصيل الزراعية انتشارا في مجال منطقة حوض شلف وهو من الفواكه التي كانت منطقة الخضراء تشتهر بها وكانوا يأكلون السفرجل طازجا ويصنعون منه العجائن(الرب) وفي ذلك يقول ابن حوقل النصيبي:" ومنها إلى الخضراء مدينة على نهر ولها فواكه وسوان، وبها السفرجل المعنق الفارسي"[3].

– الزيتون:

فهي تتمتع بمكانة خاصة داخل المجتمع الجزائري، كما أن لها فوائد عديدة، حيث تقدم للمجتمع الزيتون كغذاء، والزيت كشفاء وفوائد أخرى، و قد عني الفلاح الجزائري بزراعة وغرس أشجار الزيتون عبر مختلف جهات البلاد الجزائر، خاصية أنها لها خاصية التحمل للأوضاع المناخية القاسية، وكذا عدم استهلاكها للمياه بكثرة سوى في أوقات معينة، لقد انتشر هذا المنتوج في هذا الاقليم الجغرافي وبخاصة مدينة تيهرت وضواحيها حتى أطلق عليها اسم الزيتونة وهذا لغابات أشجار الزيتون المنتشرة بها وقد كانت حبيبات الزيتون تصبر وتأكل أو تعصر بطرق بدائية عن طريق هرس حبوب الزيتون بعجلة تديرها الحيوانات، ثم تعصر فتنتج زيت الزيتون ويحفظ في قلال مصنوعة من جلود الأغنام[4].

– الكتان:

كانت زراعة الكتان واسعة في بلاد المغرب الأوسط حيث كان يستعمل في صناعة الثياب والملابس وفي العلاج وخاصة القروح[5]، ولذلك فقد لقي هذا النوع من المحاصيل اهتماما كبيرا من قبل سكان منطقة شلف، وهذا راجع لأهمية الكبيرة، وقد أشار إليه اليعقوبي بقوله:" وادي شلف ... يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم" وبذلك كان من أهم المحاصيل التي زرعت على ضفاف نهر شلف[6].

– البصل:

يعتبر من بين المحاصيل التي اهتم بها المزارعون في منطقة حوض شلف فكان يزرع في قرية بني واريفن والمناطق المحيطة بها، وفي ذلك يقول الإدريسي:" بنو واريفن قرية كبيرة لها كروم وجنات ذوات سوان يزرعون عليها البصل والشهدانج[7] والحناء والكمون"[8].

---

[1]– تاجنة بفتح الجيم وتشديد النون، مدينة صغيرة بإفريقية بينها وبين تنس مرحلة وبين سوق إبراهيم مرحلة. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت، ص 5.

[2]– عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص46.

[3]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

[4]– عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 47.

[5]– المرجع نفسه، ص 55.

[6]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص 115.

[7]–الشهدانج نبات من أصل صيني أو فارسي، وهو نبات مماثل للقنب كانت تستعمل خيوطه في تحضير خيط قوي ومتين ويستعمل في صناعة أثواب رقيقة وورق جيد. ينظر: المرجع نفسه، ص 56.

[8]– الإدريسي، المصدر السابق، ص253.

– السمسم:[1]

كان يزرع على شكل أحواض تسقى بالمياه، وقد كان من بين المحاصيل الزراعية التي كانت منتشرة في سهول شلف، وهذا ما أشار إليه اليعقوبي بقوله: " وادي شلف وعليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر عليه يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم"[2].

كما كان يزرع بالمنطقة أيضا زراعة الشهدانج وذلك في منطقة بني وازلفن، بالإضافة إلى العديد من المحاصيل الأخرى البصل والحناء والكمون ولها كروم كثيرة[3].

تلعب الأشجار المثمرة دوراً كبيراً في تنويع غذاء الإنسان كون تناول الفواكه المختلفة يساعد على حفظ صحة الإنسان، وبمده لمختلف العناصر الضرورية التي يحتاجها الجسم، كما أن توفر الكثير من الأشجار يلعب دور في المحافظة على التوازن الطبيعي.

ج. الثروة الحيوانية:

الأرض الجزائرية غنية بالسلالات الحيوانية المنتشرة عبر مختلف أنحاء البلاد، فقد شكل مناخها الرائع وشساعة أرضها ومراعيها، وإن لموقع منطقة حوض الشلف الهام المطل على الحوض المتوسط جعلها تعتمد بشكل واسع على ثروة الأسماك، مما عرفت المنطقة انتشار حرفة الصيد البحري وعرفت المنطقة تنوع الأسماك ووفرته، وأصبح المورد الغذائي لبعض السكان في تلك الفترة، وأصبح اعتماد عليه بشكل واسع كذلك في التجارة . وأشار الرحالة والجغرافيون إلى وجود المراعي وتنوع الحيوانات التي اعتمد عليها السكان في تلك الفترة.

ولقد عرفت منطقة حوض شلف كميات كبيرة من الأسماك الجيدة الكبيرة منها والصغيرة وهو طيب الطعم في الغالب[4]، وخاصة سمك الشهبوق الذي كان طوله يصل الذراع ولحمه طيب وهو كثير الشوك ويبقى شهرين وكان يكثر صيدها في فصل الربيع ويرخص ثمنها ثم ينقطع ولا يوجد شيء منها إلى السنة القادمة[5]، وتجدر الإشارة إلى أن بلاد المغرب قد عرف تربية المواشي التي كانت تقوم جنبا إلى جنب مع مع الزراعة، فالأراضي الزراعية التي كانت يتوفر عليها هذا الإقليم كانت رعوية أيضا إلى جانب كونها زراعية، وبذلك فقد كان المزارع يستغل المحصول الزراعي إلى جانب استغلاله للمنتوج الحيواني أو الماشية، وهذا كله كان من اهتمامات المزارعين[6]، هذا ونجد أن حوض شلف والمناطق المجاورة لها قد اشتهر بتربية أصنافا كثيرة من وانتشار تربية الحيوانات للاستفادة المادية والغذائية من حيث الغذاء والسفر والترحال والتنقل، وكذلك في الاعتماد على الحيوانات في الزراعة والفلاحة، وحتى في الصناعة النسيجية بالاستفادة من جلودها وأوبارها في اللباس والأفرشة وحتى في بناء الخيم، وعرفت منطقة تربية الأبقار والغنم، والأحصنة، والنحل وغيرها من الحيوانات الأخرى التي كانت متواجدة

---

[1]– ذكر ابن البيطار أنه نبات زيتي يستخدم في علاج الكثير من الأمراض. ينظر: ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، مكتبة المتنبي، بغداد، العراق، د. ت، ص 30.

[2]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص 115.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص253.

[4]– حسن بن محمد الفاسي الوزان، **وصف إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 251.

[5]– زكريا بن محمد بن محمد، **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت، ص 148.

[6]– إبراهيم بكير بحاز، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، جمعية التراث، قسنطينة، الجزائر، د. ت، ص 158.

بالمنطقة، وفي ذلك يقول ابن حوقل النصيبي:" وهي إحدى معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين[1] الفراهية[2]" (**بن حوقل، 1992، صفحة 86**). إلى جانب أنواع أخرى من الحيوانات التي شهدها هذا الإقليم، إلى جانب أنواع أخرى من الحيوانات التي شهدها هذا الإقليم، حيث لعبت دورا كبير تربية الحيوانات في منطقة فهي مثلت مصدر دخل للعائلات من الغذاء وكذا في الحرث والفلاحة، وكذا في السفر، والترحال، والانتقال لأجل القيام بالأنشطة الاقتصادية في منطقة والمناطق المجاورة، وحتى تربية النحل التي اهتمت بها سكان المنطقة لما له من دور كبير في الغذاء لطول مدة حفظه وتخزينه بعدة شهور وسنوات وعدم فساده، وكذا قيمته الغذائية والصحية التي يزخر بها العسل في حياة المجتمعات، ولدى الإنسان بصفة خاصة، وكذلك ما تلعبه تربية المواشي الذي تمثل أهمية اقتصادية للسكان مما له من دور في الغذاء من الحليب واللحم والاستفادة من صوفها وأوبارها

لقد عُرف في المنطقة بتنوع المنتوجات الفلاحية وأنها فلاحية بامتياز حسب مشاهد وأراء الرحالة الذين لفتت انتباههم المنتجات الفلاحية المتنوعة في المنطقة والاعتماد في غالب الأحيان على زراعة الحبوب المنتشرة في ربوع سهل الشلف المحاذية لوادي الشلف، واعتماد السكان على الفلاحة وأظهرت قيمة وإمكانياتها الواسعة في الفلاحة في الجزائر في تلك الفترة ساهمت في تبوأ المنطقة المكانة العالية، لجودتها الفلاحية والمكانة الإستراتيجية لموقعها المميز قبالة الحوض المتوسط مكانها من احتلالها الموقع الهام في التبادل التجاري والتعامل التجاري مع المناطق المجاورة لها براً وبحراً.

2. 3. الجانب الصناعي:

سنحاول التطرق من خلال هذه النقطة إلى أهم جوانب النشاط الصناعي التي تخص منطقة وإقليم شلف في العصر الوسيط، بالرغم أنه عرف تأخر كبير نتيجة العقبات الكثيرة منها عدم وجود الخبرة الكافية وصعوبة الاعتماد عليها، واشتهرت المنطقة بالحفاظ على الطابع الحرفي التي قاومت الزمن وعوامل الاندثار، وتنوع الحرف حسب المنقطة وتوارثتها العائلات واكتسبتها الأخرى من طرف هجرات بعض السكان إليها، وساعدت تطور الصناعة نتيجة الموقع الاستراتيجي للمنطقة في الحوض المتوسط مكن من التبادل التجاري مع بعض البلدان.

أ. الصناعة النسيجية:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في ازدهار الصناعة النسيجية التي كان أهالي حوض شلف في العصر الوسيط يمارسونها نذكر منها ما يلي:

لقد عَرفت منطقة حوض شلف العديد من الصناع والحاكة وهذا لتوفر المواد الأولية الخاصة بهذه الصناعات كمادة الصوف[3]، بإضافة إلى مساهمة العناصر الأجنبية ممثلة في العنصر الفارسي في ظهور المنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية[4]، وذلك راجع لوفرة خامات الصوف الصوف والكتان من المراعي والمزارع هذا فضلا عما كانت تنتجه منطقة حوض شلف من القطن والصوف حيث كانت مشهورة بصناعة الزرابي[5]، وإضافة إلى ذلك فلم يقتصر الجانب الصناعي على ذلك النوع من الصناعات فحسب بل شملت صناعات أخرى وهذا بفضل

[1]- يذكر ابن منظور في كتابه "لسان العرب" أن المقصود بالراذين هي نوع من الخيل، وهي من غير نتاج العرب.ينظر: جمال الدين محمد بن مكرم أبي الفضل ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د. ت، ج13، ص 51.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.

[3]- محمد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 173.

[4]- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص 276.

[5]- محمد الطمار، المرجع السابق، ص 173.

استفادة سكان أهالي المنطقة من الخبرات الأجنبية كالعناصر الفارسية في تيهرت وهو ما ساهم في ظهور الكثير من الصناع والخراطين واشتهرت المنطقة بالمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية والقوارير الزجاجية وأواني الخزف البراقة والتحف المعدنية والعطور[1].

كما ازدهرت صناعة الأواني الجميلة من الخشب، فأبدع سكان المنطقة في صناعاتهم الفخارية والخزفية التي كانوا يستعملونها في العديد من المجالات[2]، إضافة إلى اتقانهم حياكة السروج خاصة في مدينة مليانة[3]، لأن الأراضي المجاورة لهذه المدينة كانت تهتم بتربية الخيول[4].

ب. الصناعة الغذائية:

لقد عرف إقليم حوض شلف توفر العديد من المواد الأولية الخامة التي استغلها ساكنة المنطقة في تحويلها إلى مواد استهلاكية على اختلاف أنواعها، كتحويل التين الذي اشتهرت به منطقة سوق إبراهيم كثيرا وكان يصنع على شكل شرائح على مثال الطوب، وبذلك تسمى وتحمل منها إلى الكثير من الأقطار وذلك عند غزارة المنتوج بكميات كبيرة تزيد عن حاجاتهم، وهكذا يتجنبون فساده ورميه[5]، وكذلك العنب الذي كان يجفف ويحول إلى زبيب كما كانت تصنع منه الخمور وعقيد العنب وحتى أدوية بعض الأمراض[6]، ونفس الشيء بالنسبة للزيتون الذي كان يعصر بطرق بدائية عن طريق هرس حبوب الزيتون بعجلة تديرها الحيوانات، ثم تعصر فتنتج زيت الزيتون، وكذلك طحن الحبوب وذلك بفضل الطواحين التي أقاموها، فهناك إشارات لوجود طواحين مائية على الأودية التي تمر بتهرت كوادي مينة مستفيدين من قوة تدفق المياه لإدارتها وتحريكها[7]، كما كانوا يستخرجون من نبات السمسم الزيوت هذه الأخيرة التي ذكر ابن البيطار(646هـ/1248م) أنها كانت تستعمل حتى لأغراض طبية[8]، وقد لعبت دور كبير في التطور الاقتصادي وتحسين المستوى المعيشي، وأيضا مواكبة التطورات الحاصلة في طرق التحويل بعض المنتوجات من اجل الاستفادة منها.

3. 3. الجانب التجاري:

لقد ساهم وفرة وتنوع المنتوج الفلاحي والصناعي في المغرب في المغرب الأوسط عامة وإقليم شلف في العصر الوسيط خاصة، وكذا موقعه الجغرافي الممتاز في التأثير في حركية النشاط التجاري، فظهرت بذلك الأسواق الداخلية والخارجية والمعاملات التجارية وكذا تنوع السلع المعروضة بها، وأصبحت مدن هذا الإقليم تعد من أهم مراكز عبور الطرق التجارية في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط[9].

أ. الأسواق الداخلية:

لقد عرف المنطقة انتشاراً واسعاً للأسواق التي كانت تمثل عصب الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط، وهذا بحكم وجود العديد من المدن والقرى حول هذا الإقليم وهذا ما أدي إلى ظهور العديد من الاسواق الداخلية وذلك تلبية لحاجيات سكان تلك المناطق بمختلف

[1]- محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 276.

[2]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، 232- 233.

[3]- مليانة مدينة كبيرة جدا وقديمة بناها الرومان وأطلق عليها اسم ماكنانة، لكن العرب حرفوا هذا الاسم، تقع في قنة جبل على بعد حوالي أربعين ميلا من البحر والمدينة محاطة بأسوار عالية عتيقة، ولمليانة دور متقنة الصنع في داخلها كلها سقايات جميلة يكاد يكون سكانها كلهم صناعا. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص 34.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 87.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 251.

[6]- عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص49.

[7]- الحريري، المرجع السابق، ص 232.

[8]- عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 55- 56.

[9]- الطمار، المرجع السابق، ص 219- 220.

السلع، كما يجب الإشارة أن إقليم شلف قد عرف تسمية العديد من مدنه وقراه التي كانت تحمل في بدايتها اسم سوق على غرار مدينة سوق ابراهيم وقرية سوق كرام (كران) وغيرها من المدن والقرى الأخرى التي كانت تحمل هذه التسمية[1].

وغالباً ما كانت هذه الأسواق تحمل اسم ذلك الأمير ومنها سوق حمزة وسوق ابراهيم السالف الذكر وسوق يوسف وسوق ماكس على وادي شلف وغيرها من الأسواق[2]، ولقد كانت المنطقة تعرف نوعين من الأسواق إحداها يومية وأخرى أسبوعية وكانت تقام هذه الأسواق في أماكن التجمعات السكانية وأماكن تواجد المياه وكذا حول المناطق المخصصة لإنتاج نوع معين من السلع[3]، ومن أسواق التي كانت منتشرة بالمنطقة نذكر سوق مدينة شلف وهو سوق كبير[4] ، وكذلك يذكر إبراهيمبحاز أسواق تيهرت التي كانت عامرة بمختلف البضائع[5] ، وسوق مدينة الخضراء الذي كان يجتمع إليه أغلب أهالي تلك النواحي وأسواق مدينة سوق إبراهيم وقد كان هذا السوق مشهورا مشهورا ويقام في يوم معلوم[6] ، وكذلك سوق بقرية واريفن الذي كان يوجد بها العديد من الحوانيت[7]، وسوق مدينة كرام (كران) وهو من الأسواق الاسبوعية[8].

وقد كانت هذه الأسواق تحتوي على الكثير من البضائع منها ما هو إنتاج محلي ومنها ما هو مجلوب من بلاد الأندلس وبلاد السودان، ومدن المغرب ومن المشرق كالمواشي والصوف والجلود والشحم والسمن والألبان والحبوب على اختلاف أنواعها، وكذلك المواد ذات الاستهلاك اليومي كالملح والسكر، بالإضافة إلى الألبسة والأفرشة وبعض الأواني وغيرها من المواد الأخرى التي لا يسعنا المقام لذكرها[9].
لذكرها[9].

ب. الطرق التجارية:

لقد اخترق حوض شلف شبكة من الطرق التي ربطتها بمختلف المناطق الداخلية والخارجية، والتي ساهمت وبشكل كبير في تفعيل المبادلات التجارية بين مختلف المناطق، ولقد أطنب الكثير من الرحالة والجغرافيين في الحديث عن هذه الطرق الرئيسية، كما بينوا مدي مساهمتها في تفعيل الحركة التجارية، وتعتبر التجارة من اهم العوامل التي تعطي للمنطقة الحيوية النشاط الاقتصادي وازدهارها، وقد حظيت منطقة حوض الشلف بما تمثله منطقة تنس من اطلالتها على الحوض المتوسط الذي لعب مينائها دور كبير في التبادلات التجارية، وما تمثله المنطقة من منطقة عبور لمختلف القوافل التجارية البرية والبحرية، جعلها تتبوأ مكانة في الحوض المتوسط، وفيما يلى عرض لأهم الطرق المؤدية لمدينة شلف كما ذكرها هؤلاء الجغرافيين:

لقد أشار الإدريسي(ت558هـ/1162م)إلى الطرق التجارية العابرة للمنطقة وذلك في قوله:" والطريق من تلمسان إلى مدينة تنس سبع مراحل تخرج من تلمسان إلى قرية العلويين ... ومنها إلى قرية بابلوت مرحلة ... ومنها إلى رحل الصفصاف مرحلة ... ومن الرحل إلى

[1]- إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 157.
[2]- عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 135.
[3]- المرجع نفسه، ص134.
[4]- البكري، المصدر السابق، ص 251.
[5]- إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 175.
[6]- عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 139- 140.
[7]- البكري، المصدر السابق، ص 251.
[8]- إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 175.
[9]- المرجع نفسه، ص 178.

أفكان مرحلة...ومنها إلى المعسكر مرحلة ومنها إلى مدينة يلل مرحلة... ثم إلى مدينة غزة ومنها إلى مدينة سوق إبراهيم مرحلة ... والطريق من تنس إلى المسيلة تخرج من تنس إلى بني وازلفن... ومن تنس إلى شلف مرحلتان"[1].

كما وصف لنا البكري أيضا الطريق الذي يربط القيروان بمرسى الدجاج وقال بأنه يمر من المسيلة ثم عين أوزقور ثم بسوق ماكسن الواقع على نهر شلف، كما وصف ابن حوقل أيضا الطريق الذي يربط مدينة أشير بمليانة أنها تمر برطل مازونة ثم يليها محطة ريغة إلى أن تصل إلى مدينة كران على نهر شلف، وأشير مرتبطة بتنس وتمر بمليانة ثم بني وارفن ثم بشلف...[2]، ومن أهم المدن والقرى التي كانت تقع على نهر شلف والتي يمر عليها طريق المسيلة تنس مدن سوق كرام ومليانة والخضراء وقرية بني وازلفن وهناك طريق داخلي يمر على كل من شلف ثم الغزة ثم تيهرت مسيرة يومين منها إلى قلعة مغيلة دلول ومنها إلى مستغانم مرحلة[3].

فقد لعبت المنطقة تجارة واسعة مع بلاد الأندلس من التبادل التجاري منه: الحديد، والكتان والرصاص والنحاس، التي اشتهرت به مدينة البيرة ومن طليطلة الصبغ السماوي والزعفران، ومن المرية الحرير، أما في قرية مغام –قرب طليطلة– كان يوجد الطين المأكول ويقول عنه الأصطخري:" هو في لذاذة الأكل وفي تنظيف وغسل الشعر"[4]، وللموقع الاستراتيجي الهام المطل على البحر الأبيض المتوسط مكنها من تبوأ مكانة تجارية هامة في المغرب المتوسط، ومقابلتها للموانئ الأندلسية التي كانت تتميز بحيوية كبيرة في التبادلات التجارية، جعلها من أكبر المدن التي ينزلها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم[5]، وبهذا الموقع جعل من المنطقة تكون محور تواصل التجاري بين الشمال والجنوب من خلال التبادلات التجارية بين الأندلسيين ونقل السلع والبضائع نحو الصحراء[6]، وحقق ميناء تنس، أهمية كبيرة في الانفتاح التجاري الخارجي وتنشيطه للتجارة مع الأندلس، وأصبح يمثل الركيزة الأساسية للمنطقة في التجارة الخارجية[7]، فقد أصبح الميناء من أهم الموانئ المغرب الأوسط في العصر الوسيط نظرا للحركة التجارية النشيطة فيه، وحجم التبادلات التجارية مع الأندلس في الحوض المتوسط، وأصبح مركزا تجاريا هاما تتجمع فيه مختلف البضائع، ويربط بين الصحراء والأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط عن طريق الميناء[8].

وعرفت المنطقة بكثرة المرافئ منها ميناء تنس ومرسى فروخ ولعبت هذه الموانئ دور كبير في حركية التجارة بين الأندلس والمغرب الأوسط وبين المناطق المجاورة للمنطقة، وهكذا فقد كان إقليم شلف في العصر الوسيط ممرا لأهم الطرق التجارية في المغرب الإسلامي خلال تلك الحقبة التاريخية ومحطة للقوافل التجارية وخاصة القادمة من القيروان عبر المسيلة.

4. خاتمة

نصل في نهاية هذا العرض الموجز والمختصر لموضوع حوض شلف في العصر الوسيط: دراسة اقتصادية من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين إلى العديد من النقاط، والاستنتاجات والملاحظات الهامة التي وقفنا عليها في هذا الموضوع والتي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

---

[1]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 250.

[2]– الطمار، المرجع السابق، ص 154– 155.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 252– 253.

[4]– الأصطخري، **المسالك والممالك**، دار القلم، مصر، 1961، ص 36.

[5]– فتحي زعروت، **العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300– 350هـ)**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2006، ص 222.

[6]– إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 89.

[7]– نبيلة شلغوم، **الحيوية التجارية لموانئ المغرب الأوسط إلى غاية نهاية القرن 4هـ/ 10م ميناء تنس أنموذجا**، مجلة عصور، ع3، 2021، ص 26– 27.

[8]– إسماعيل بن نعمان، **جوانب من الحياة الاقتصادية لمدينة تنس الإسلامية**، مجلة عصور، ع 12– 14/ 13– 15، 2009، ص210.

– لقد قدمت كتب الرحالة والجغرافيين معلومات قيمة عن المجال الاقتصادي لحوض شلف وذلك من خلال إبراز أهم المعالم الاقتصادية لإقليم شلف، فكانت مادتها العلمية والمعرفية أكثر دقة على اعتبار أن هؤلاء الرحالة والجغرافيين كانوا ينقلون تلك المعالم من خلال تنقلاتهم ورحلاتهم ومشاهداتهم.

أوضحت الدراسة بأن حوض شلف تميز بإنتاج ووفرة الكثير من المحاصيل الزراعية كالعنب والتين والسفرجل والزيتون والبصل وغيرها من المحاصيل التي جادت بها سهول شلف، كما عرفت المنطقة ثروة حيوانية هائلة كالأسماك المتوفرة بكميات كبيرة بالروافد المائية لتلك المنطقة، كما استعملت أيضا السهول والمراعي الكثيرة لتلك المناطق في تربية الحيوانات وخاصة الأبقار والاغنام.

– بينت الدراسة أيضا أن إقليم شلف في العصر الوسيط كان قد عرف العديد من الصناعات التحويلية والمتعلقة بما كانت تنتجه سهوله من أصل زراعي أو حيواني كتحويل التين والعنب والزيتون وطحن الحبوب وغيرها، كما عرفت المنطقة أيضا العديد من الصناعات المختلفة كصناعة الأواني الفخارية والزجاجية والخزف والتحف المعدنية والعطور وصناعة السروج وغيرها من الصناعات التي اشتهرت بها المنطقة وقد مثلت موردا اقتصاديا هاما للسكان وتطور الصناعات والحرف من فترة لأخرى.

– لقد أدي تنوع الإنتاج الفلاحي والصناعي، وكذا الموقع الجغرافي الممتاز لمنطقة حوض شلف في العصر الوسيط إلى رواج النشاط التجاري، فظهرت الأسواق والمعاملات التجارية داخل المنطقة، وكذا الميناء الذي أصبحت فيه الكثير من السفن وأصبح الأسواق قريبة من الميناء والمحيطة به من أجل التبادل السلع وسهولة التنقل وسرعة التبادلات، وتنوع السلع، كما أصبحت المنطقة مركز عبور ومحطة للعديد من القوافل التجارية.

ومن خلال تطرقنا بالدراسة لموضوع حوض شلف في العصر الوسيط: وجب علينا ذكر بعض التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة والتي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

– ضرورة الاهتمام بالجانب الاقتصادي لمدينة شلف وخاصة في المرحلة الوسيطة، وذلك من خلال انجاز الأبحاث والدراسات حول المنطقة لكشف العديد من جوانبها، التي لاتزال غامضة حتى تصبح ميدانا خصبا للباحثين والمهتمين بتاريخها.

– الاهتمام بالدراسات الأكاديمية وتشجيع الطلبة والباحثين على تعميق دراساتهم، وأبحاثهم حول الأنشطة الاقتصادية في منطقة حوض شلف في العصر الوسيط، وإثرائها بالدراسات الميدانية والتطبيقية.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002.
2. ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، مكتبة المتنبي، بغداد، العراق، د. ت.
3. البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز، **المسالك والممالك**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
4. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.
5. الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
6. ابن حوقل النصيبي أبو القاسم، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992.
7. ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون**، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ت.
8. الأصطخري أبو إسحاق إبراهيم، **المسالك والممالك**، دار القلم، مصر، 1961.
9. القزويني زكريا بن محمد بن محمد، **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.

10. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم أبي الفضل، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د. ت، ج13.
11. الوزان حسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمج الأخضري، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983.
12. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، **البلدان**، المكتبة المرتضية ومطبعتها، النجف، 1918.
13. المغربي علي بن موسى ابن سعيد ، **كتاب الجغرافيا**، تح: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982.

– المراجع:

14. بلبشير عمر، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9هـ/ 12– 15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009– 2010.
15. بحاز إبراهيم بكير، بن نعمان إسماعيل، **جوانب من الحياة الاقتصادية لمدينة تنس الإسلامية**، مجلة عصور، ع 12– 14/ 13– 15، 2009.**ة دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، جمعية التراث، قسنطينة، الجزائر، د. ت.
16. جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9– 10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ت.
17حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية –الأحوال الاقتصادية والثقافية**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
18. الحريري محمد عيسى ، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160– 296هـ)**، دار القلم، الكويت، 1987.
19. زعروت فتحي، **العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300– 350هـ)**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2006.
20. شلغوم نبيلة، **الحيوية التجارية لموانئ المغرب الأوسط إلى غاية نهاية القرن 4هـ/ 10م ميناء تنس أنموذجا**، مجلة عصور، مج20، ع3، 2021.
21. الطمار محمد، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
22. العربي إسماعيل، **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت.
23. عيساني محمد، **تطور النشاط الاستيطاني الفرنسي الأوربي في منطقة شلف خلال الفترة (1843– 1962)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، الجزائر، 2012.
24. غلاب محمد السيد وآخرون، **جغرافية العالم دراسة اقليمية**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1989.
25. فوكة محمد، **خريطة أثرية لولاية شلف**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الأثار، جامعة الجزائر2، 2009.
26. موسى سعاد، بوقشور محمد صالح، **تأسيس مدينة الأصنام وتطورها العمراني بين 1843– 1856**، مجلة عصور، مج11، ع3 ، جامعة وهران، الجزائر، 2021.
27. الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الأغواط، الجزائر، 1359.
28. محمود إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.
29. بن نعمان إسماعيل، **مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3– 13هـ/ 9– 19م)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الأثار، جامعة الجزائر، 2007.
30. بن نعمان إسماعيل، **جوانب من الحياة الاقتصادية لمدينة تنس الإسلامية**، مجلة عصور، ع 12– 14/13– 15، دسمبر2009.
31. M. POURCHER, **PLAINE DU CHELIF**، Imprimerie orintale pierre fontana ،ALGER ،1900.